

أسبوعيات نائب

كولن باول من فوق المنصة الفلسطينية :

تصريح جديد بمضمون إسرائيلي معاد وقديم

ناهض منير الرئيس

النائب عن مدينة غزة

هذا غير معقول !!

بعد الأجراس التي قرعت ، والطبول التي دقت ، والزفة الإعلامية التي رافقت جولة كولن باول في آسيا وبشرت بأن وزير الخارجية الأمريكية سيلقي بثقل الولايات المتحدة ، من أجل الانتقال من مرحلة الكلام عن خارطة الطريق إلى مرحلة تنفيذها وتطبيقها ، يأتي - لمدة سبع ساعات فقط - الجنرال الذي كان أثناء الحرب الأولى ضد العراق يرأس أركان القوات المسلحة الأمريكية وصار أثناء الحرب الشاملة على المنطقة يرأس أركان الدبلوماسية الأمريكية (المسلحة أيضا !) ، فيقف على منصة شارون في القدس كالتلميذ المثابر ، ويأخذ في استظهار درسه ، متهجما على الفلسطينيين بالألفاظ عينها التي سبق أن سمع شارون وعصابته يرددونها المرة تلو المرة ، ومتهما سوريا بالاتهامات التي حاولت الحكومة السورية جاهدة أن تنفيها وتبرأ منها ، أعني الاتهامات بأنها تعرقل حلول السلام في الشرق الأوسط . وكذلك يقف جنرال الدبلوماسية ودبلوماسي الجنرالات على منصتنا في أريحا ويياشر بنخس عيوننا وسلخ آذاننا مكررا لنا بأننا إرهابيون ، عنيفون ، ولكننا سوف نكون مع ذلك - وفقط إذا قاتل نصف شعبنا نصفه الآخر - مستحقين في العام ٢٠٠٥ دولة فلسطينية تعيش جنبا إلى جنب مع إسرائيل !

هذا الظلم والاضطهاد والتحامل الأمريكي الواضح علينا ، والعبودية والاستخذاء والتبعية للإسرائيليين وللجاء الانتخابي الذي يملكونه في الولايات المتحدة ، هو طابع العصر الذي نعيشه وسمة الحكومة العالمية التي يريد صهاينة الإدارة الأمريكية أن يوطدوا قواعدها في العالم بدءا من

الهيمنة التامة على الطاقة في هذه المنطقة . وهذا الظلم لنا والاستخذاء أمام عدونا يقلب المواجه في الصدور ، ويبعث على رؤية المستقبل من خلال صراع لا تبدو له نهاية .

نפט ودماء ..

وفي مساء السبت الماضي ، بعدما رشحت بعض الأنباء التي حملها كولن باول إلى اجتماعاته مع الإسرائيليين بشر بنيامين نتنياهو الإسرائيليين بأن النفط العراقي سيتدفق قريبا على إسرائيل . وفي الليلة ذاتها زفت أجهزة الإعلام الإسرائيلية لجمهورها خبر تدفق دم المقاوم المرابط عبد الله القواسمي الذي اغتالته وحدات المستعربين الخاصة وهو خارج من جامع الأنصار في الخليل . وهكذا : نفط العرب ودم العرب ، كلاهما مطلوب في عصر إسرائيل والولايات المتحدة .

وماذا عن الباقيين ؟ ماذا عن دول أوروبا ؟ وماذا عن روسيا ؟ وماذا عن الصين ؟ كيف يتعامى العالم كله عن القتل والدمار والتجريف والنسف والتخريب الذي لم يكن له مثيل في أي بلد على يد أي محتل ؟!

ليس منهم في واقع الأمر أحد إلا لسان حاله يقول إجمالا حول شؤون السياسة العالمية وفرض النفوذ وتوزيع الأسواق : إن من بلايا الزمان أن تتوفر الفرصة للمغامر ضئيل الوجدان ضخم الترسانة الممتلئ غرورا أن يفرض سياساته ومخططاته على الجميع . ولكن الجميع تقريبا يتمثلون المثل الجبان القائل : إذا ذهبت إلى بلد يعبد العجل ، فخذ منجلك واجلب له الحشيش .

من هنا تتوالى تصريحات رؤساء الدول ووزراء الخارجية هنا وهناك ، تعظم من شأن رؤية بوش ، وتقول إن الطريق الوحيد للسلام هو خارطة الطريق ، وهي كما نراها خارطة مبنية على النظر إلى الفلسطينيين بوصفهم إرهابيين ومتخلفين وبحاجة إلى تأهيل للسلام وهي تقتضيهم ثمنا باهظا بالمجان ، وتربط مصيرهم بإرادة جزار لا يعرف الصدقات والإحسانات ، وهي تتلخص في الجوهر في ثلاثة أشياء أساسية موهت بغلالات لا تصمد للنظر :

- على السلطة الفلسطينية أن تشرع في إشعال الحرب الأهلية الفلسطينية فوراً ، مهما كان ضحاياها .

- على السلطة الفلسطينية أن تكمل إعادة تشكيل نفسها وفقاً للتعليمات التي تحددها تقارير السي آي إيه .

- على السلطة الفلسطينية أن تتأهل للجلوس مع شارون وحكومته ذات يوم ليعطوها الدولة الموعودة إذا وصلت السلطة إلى نهاية الشوط سالمة .

معنى الإصلاح الأمريكي

ولا يستطيع فلسطيني ينتمي إلى شعبه انتماء الابن البار أن يقبل جريمة الحرب الأهلية أو يرى فيها خياراً معقولاً . ولا يستطيع أبداً أن يمد يده ليطعن شركاء المصير ورفاق الخندق . كما لا يستطيع من يتابع الأخبار - مجرد متابعة سطحية - أن يثق بوعود الأمريكيين أو الإسرائيليين الذين نقضوا كل عهد منذ نشأة القضية الفلسطينية قبل قرن من الزمان . أما مسألة إصلاح السلطة الفلسطينية فلا أحد يجهل أن أساس الفساد في السلطة هو توزيع الإسرائيليين مختلف الامتيازات وفتحهم باب الثراء على مصراعيه أمام الأعوان وأعوان الأعوان . وما معنى الإصلاح الذي تتكلم عنه الوثائق الإسرائيلية والأمريكية بالتالي إلا إعادة تشكيل كل شيء في حياتنا في فلسطين وحياة منطقتنا العربية والإسلامية كلها بما يناسب المصالح الإسرائيلية - الأمريكية المتحدة ويجعل الأمريكيين على خزائن نפט المنطقة وخيراتها الأخرى ، ويضمن للإسرائيليين أن تتدفق عليهم تلك الخيرات العظيمة بلا حساب .

والإنسان في هذه المنطقة وفي عموم البلاد العربية والإسلامية بحاجة إلى إزاحة بضعة أشياء من عقله ومخيلته وذاكرته لكي يتأهل ويتعايش مع الأطروحات الأمريكية التي تتوالى تباعاً في هذا الزمن الذي أعلن عنه الأمريكيون زمناً لحرب العشر سنوات ضد الجميع . إنه بحاجة قبل كل شيء إلى نسيان الاحتكام إلى المنطق . وبخاجة إلى التغافل عن زحف الأصابع الأمريكية على مراكز السلطة والقرار . وبخاجة إلى عقار مهدئ لضبط الأعصاب لدى مطالعة وجه أحمد الجلبي وأمثاله على شاشات الفضائيات .

وبحاجة لإزالة محتويات الذاكرة التاريخية التي تعي قصة فلسطين منذ بداية قضيتها ومنذ كان عدد اليهود فيها لا يجاوز خمسة آلاف نسمة ثم استجلبتهم الوكالة اليهودية من وراء البحار بفضل الانتداب البريطاني المشؤوم فأصبح لهم جيش وكيان دولي على أنقاض أهل البلاد .

لا سياسة بل إملاءات

ليست هناك في الزمن الأمريكي الذي نشهده سياسة وفق المصطلحات والمقاييس المألوفة للسياسة في العصور الأخرى ! ليس هناك أخذ ورد ! ليس هناك حساب للقوى المحلية ! وإنما هناك تعليمات فقط . وهناك أدوات مجهزة لتنفيذ هذه التعليمات . والتعليمات الأمريكية تأتي ثمرة ملفات مكملة وفقا لغايات مدروسة ، والملفات مليئة بالمعلومات وتقارير الكمبيوتر . وغالبا ما تقوم بها أوساط النخبة التي تتعاطى التفكير نيابة عن الجمهور الأمريكي . ومن هؤلاء (مثلا) مجموعة الساسة اليمينيين المتصهينيين في الحزب الجمهوري ، الذين أنشؤوا ملف الحرب على العراق منذ عام ١٩٩٦ أي قبل زمن طويل من وصولهم إلى السلطة وقبل أن يفكروا في الذريعة الباطلة المفتعلة - ذريعة أسلحة الدمار الشامل - . وهؤلاء هم أربعة عشر رجلا بقيادة تشيني ورامسفيلد ، ومنهم بول وولفووترز وريتشارد أرميتاج وجون بولتون وزالماي خليلزاد وريتشارد بيرل . وكلهم من أركان إدارة بوش الحالية .

أما الأدوات المجهزة لتنفيذ التعليمات فهي شخصيات تربيتها السي آي إيه على عينها وتختارها بدقة في مواقع مفاصل الحكم وتعاقب الأجيال في البلدان موضع الأطماع . وقد روى لي قديما أحد أصحاب التجربة الواسعة والاطلاع الواسع أنه سمع من أحد موظفي السفارات العربية في بلد آسيوي قصة جرت في الستينيات من القرن الماضي عن اتصال أحد مندوبي السي آي إيه به وعرضه تجنيد الدبلوماسي العربي في خدمة الوكالة السرية . فلما أبدى هذا الأخير اضطرابا ورفضاً للفكرة قال له المندوب الأمريكي : " ألعك تظن أننا سنقول لك هات زودنا بتقارير عن عمل سفارتك . أنت مخطيء إن ظننت ذلك . إن لدينا شيفرة رسائلكم التي تذهب إلى رئاستكم

نفسها ". ثم أضاف : " إنما نريد منك أن تكتب لنا تقارير عن أنشطة طلبة المدارس الثانوية في بلدكم " (!)

لا تقدير للظروف الموضوعية

الاختراق التكنولوجي للمؤسسات الوطنية ، والاختراق البشري ، وحياسة أسلحة الدمار الشامل والصواريخ الباليستية على اختلاف أنواعها ، وامتداد أصابع السي آي إيه في مختلف البقاع ، كل ذلك أطاش صواب الولايات المتحدة وأضاع توازنها ، حتى صارت تظن أنها تقول للشيء كن فيكون !

وهذا ما فعلته في العراق ، وهذا ما تفعله اليوم في فلسطين ، وهذا أيضا ما تفتري به كذبا على إيران التي أدرجتها في قائمة (محور الشر) دون سبب ولا مبرر ، وراحت تهددها وتدعو أوروبا لتهديدها وتتطلب من إيران التفتيش المشدد على منشآتها النووية للأغراض السلمية ووراء الأكمة نوايا عدوانية مبيتة . ومثل ذلك افتراءاتها على سوريا التي كانت تستضيف مؤسسات فلسطينية وفصائل فدائية منذ وقت بعيد ، والتي وضعتها أمريكا ضمن الدول الداعمة للإرهاب دون أن يكون هناك سبب معقول لهذا التجني .

لا تستطيع الولايات المتحدة أن تقاوم أحكام اللوبي الصهيوني في نيويورك . واللوبي الصهيوني يرى أن حيازة إيران للتكنولوجيا النووية قد يؤدي يوما إلى حدوث نوع من تعادل القوى في الشرق الأوسط ، بينما هم يريدون التفوق المطلق لإسرائيل . أما الأسباب الموضوعية التي تجيز لإيران أن تملك التكنولوجيا النووية للأغراض السلمية على الأقل فهي ليست في موضع اعتبار الأمريكيين . ومن تلك الأسباب كونها دولة كبيرة المساحة واسعة الإقليم نامية الاقتصاد ذات قوى بشرية متعلمة تعليما حديثا . وهي أجدر كثيرا من إسرائيل بأن تملك هذه التكنولوجيا الحديثة .

واللوبي الصهيوني يرى أن وجود الفصائل الفلسطينية في سوريا قد يكون فيه خطر بعيد على إسرائيل بينما هم يريدون أن تكون إسرائيل في مقام البيت الحرام الذي لا يتجه إليه الخلق إلا ليعبدوه ! ولا سبيل إلى إفهام الأمريكيين أن هناك ألف سبب لوجود أولئك الفلسطينيين الأحرار في دمشق

أقلها أنهم مطرودون من بلدانهم على يد إسرائيل وأنصار إسرائيل ، وأبسطها أن السوريين والفلسطينيين كلهم عرب تجمعهم قومية واحدة ولم تمض مئة سنة على فصل بعضهم عن بعض على يد سايكس وبيكو ! وكذلك يرى اللوبي الصهيوني أن من الضروري أن تشن السلطة الفلسطينية الحرب على منظمات المقاومة ، وبينما يجري رئيس الوزراء عباس مشاوراته وحواره مع الفصائل الفلسطينية ضجت الأصوات الإسرائيلية وفي أعقابها الصوت الأمريكي بلسان كولن باول يقولون لنا : هيا إلى الحرب . ماذا تنتظرون ؟ وذلك دون أن يقدرُوا ما قدره رئيس الوزراء عباس من أن الإقدام على خطوة من هذا النوع جريمة لا يقبلها الشعب العربي الفلسطيني ومسلك يتعفف عنه كل وطني شريف .

الإسرائيليون والأمريكيون يريدون أن نعلن براءتنا من وطنيتنا ومن قوميتنا ومن ديننا ونبقى أتباعا لأمريكا وخداما لإسرائيل !!

هذا يهتف وذاك يصفق

أنا ربكم الأعلى . أنا أحيي وأميت أنا أمنح الباطل حقا وأمنع الحق حقه في هذا العالم .. هذا لسان حال أمريكا .

أحيانا تبحث لديكتاتوريتها الكونية عن مبررات ومعاذير وتعلات . ولكنها في معظم الأحيان تشعر أن كبرياءها يتجاوز ذلك وأنه حسبها أن تقول : أنا أمريكا وهذه مشيئتي فينفرج الجمع أمامها صفين ، هذا يهتف لمجدها وهذا يصفق لها .

إن هذا كله باطل وخطأ . ولن يمر في هذه المنطقة من العالم . ففي هذه المنطقة سمعت الأصوات التي نادى بالتوحيد وبجعل الملك لله وحده .

